العرب واسرائيل والغرب :
دراسة للتطورات والصور النمطية

للدكتور ميشال سليمان

دائما* ما تحاول الدول والامم ان تغرس وتنمي في صغارها فكرة سيئة عن العدو في مقابل صورة عن أنفسهم كمناضلين من أجل الحق والعدل بغض النظر عما تكون عليه الحقائق . كما يحاول الخصوم ان يستقطبوا حلفاء عسكريين وسياسيين من بين الدول الاخرى وذلك بادعاء ان مصالحهم تتطابق أو على الاقل تتشابه مع المصالح القومية. ولكن التطور الطبيعي بالنسبة للحلفاء يقتضي الحصول على أفكار مرضية عن كل طرف(١).

اما بالنسبة للصراع في فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي فلم يستطع الفلسطينيون والعرب عامة عرض قضيتهم بشكل مؤثر في الغرب ولا حتى بين حلفائهم المزعومين . بينما نجح على الجانب الاخر الصهاينة والاسرائيليون نجاحا ساحقا في تحديد المشكلة بمفهومهم الخاص وفي اقناع معظم الغربيين على تقبلها رغم التضحيات الهائلة التي تتحملها مصالحهم القومية(٢). هذا ولقد ناقشت في مكان آخر بعض الاسباب التي تكمن وراء هذه الظاهرة غير المتكافئة(٣). ان هدفي من كتابة هذا البحث هو عرض بعض عناصر النماذج الممثلة التي يستخدمها الاسرائيليون ومن هم وراءهم لتدعيم قضيتهم في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة ولدحض واضعاف القضية العربية .

لقد تأثرت الصورة التي كونها الغربيون عن العرب ومن بينهم الفلسطينيين نتيجة لعدة عوامل يرجع بعضها الى عهد الحروب الصليبية والى العداوة التي خلقتها تلك الحرب المقدسة ضد المسلمين . كما ان معرفتهم بالمنطقة غالبا ما تكون عبارة عن معلومات مشوشة حصلوا عليها من كتب العهد القديم ومن الاحداث الخيالية كالنوع الموجود في رواية ألف ليلة وليلة او في كتابات « لورانس العرب » الى جانب العناوين العنيفة التي تظهر في الصحف المعاصرة . ويتوج هذا كله جهد المجموعات الصهيونية في عرض وجهة نظرها فقط ولا شيء غيرها في هذا الصراع . ويجب ألا يغيب عن خاطرنا انه قد اسيء الى اليهود كثيرا عبر التاريخ كما ان الصهاينة وآخرين بدأوا حملة لتغيير معالم الصورة السيئة التي كانت سائدة عن اليهود — كل ذلك خلال الحرب في فلسطين . هذا ولقد أصبح الكثيرون ، الذين أرادوا بدورهم آخرين أن يصبحوا مثلهم ، محترفي المعاداة لمعادي السامية مما خلق موقفا أثار بعض أحرار اليهود ذو الحساسية أمثال دافد ريزمان . وعلى الرغم من ذلك ، وكما يقول ريزمان ، « فان الكفاح الشديد ضد معاداة السامية » قد قطع « شوطا طويلا نحو فرض وجهة نظر واحدة بين اليهود » بالنسبة للقضية الفلسطينية(٤). ونتيجة لذلك لم يحجم أحرار الغرب فقط عن مهاجمة الصهيونية ولكنهم كذلك لم يدخروا وسعا في سبيل اعلاء شأنها ومن ثم أصبحوا في جوهرهم أحرارا جامدين ذوي عقلية غير متفتحة بالنسبة للقضية الفلسطينية الاسرائيلية(٥).

هذا وقد أعطى الصهاينة للغرب ، وربما لانفسهم نتيجة لكثرة التكرار ، صورة عن العرب تصفهم بأنهم غير متحضرين ، متعصبون دينيا ، معتدون ، يتجاهلون أراضيهم الشاسعة ، يبذخون في ثروتهم الهائلة ويهددون في نفس الوقت اسرائيل — الدولة الصغيرة المسالمة الشجاعة التي استطاع شعبها أن يزرع الصحارى ، وذلك حتى يستطيعوا تبرير استيلائهم على فلسطين . ولذا فقد وجد كثير من الغربيين ، وخاصة من الذين قد يلتزمون عن غير ادراك بنظرية دارون الاجتماعية ، الاطمئنان في مساندة والاعجاب بمن ظنوه « الشعب الافضل » في الصراع الفلسطيني(٦). ونتيجة لانتشار القصص المتكررة عن بطولة الاسرائيليين الخارقة والروح القتالية العالية فقد تلاشت تماما من الاذهان صورة اليهودي غير المحارب او الجبان وتقبل العالم الرواية الاسرائيلية التي تصور اسرائيل على أنها دولة شجاعة يبلغ تعدادها ٢٫٥ مليون استطاعت ان تهزم القوة المتحدة لعدة دول عربية يصل عدد سكانها الى ما بين ٦٠ و١٠٠ مليون نسمة .

---

* قدم هذا البحث في ندوة بغداد عن « الكيان الاسرائيلي »التي عقدت في نيسان ١٩٧٣ باشراف مركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد .